

كتب الفراشة - حكايات محبوبة

ثلاث قصص قصيرة

كتب الفراشة - حكايات محبوبة

١ . ليلى والأمير
٢ . معروف الإسكافيّ
٣ . الباب الممنوع
٤ . أبو صير وأبو قير
٥ . ثلاث قصص قصيرة
٦ . الابن الطّيّب وأخواه الجحودان
٧ . شروان أبو الدّبّاء
٨ . خالد وعايدة
٩ . جحا والتّجّار الثّلاثة
١٠ . عازف العود
١١ . طربوش العروس
١٢ . مهرة الصّحراء
١٣ . أميرة اللّؤلؤ
١٤ . بساط الرّيح
١٥ . فارس السّحاب
١٦ . حلّاق الإمبراطور
١٧ . عِملاق الجزيرة
١٨ . نبع الفرس
١٩ . تلّة البلّور
٢٠ . شُمَيْسة
٢١ . دُبّ الشّتاء
٢٢ . الغزال الذّهبيّ
٢٣ . حِمار المعلّم
٢٤ . نور النّهار
٢٥ . الماجد أبو لحية
٢٦ . الببّغاء الصّغير
٢٧ . شجرة الأسرار
٢٨ . الثّعلب التّائب
٢٩ . زنبقة الصّخرة
٣٠ . عودة السّندباد
٣١ . سارق الأغاني
٣٢ . التّفّاحة البلّوريّة
٣٣ . علي بابا والّلصوص الأربعون
٣٤ . علاء الدّين والمصباح العجيب
٣٥ . الحصان الطّائر
٣٦ . القصر المهجور
٣٧ . زارع الرّيح
٣٨ . الشّوارب الزُّجاجيّة
٣٩ . أمير الأصداف
٤٠ . الذّيْل المفقود
٤١ . الدّيك الفصيح
٤٢ . السُّنبلة الذّهبيّة
٤٣ . شَجرة الكنْز
٤٤ . عَروس القَزَم
٤٥ . نمْرود الغابة
٤٦ . جَبَل الأقزام
٤٧ . صُندوق الحِكايات
٤٨ . الجَزيرتان
٤٩ . مِرآة الأميرة
٥٠ . الكُشْتُبان الذّهبيّ
٥١ . الحِصان الهارب
٥٢ . الرّبيع الأصفر

هذه «حكايات محبوبة» رائعة يحبّها أبناؤنا ويتعلّقون بها. فالصّغار منهم يتشوّقون إلى سماع والديهم يَرْوونها لهم؛ والقادرون منهم على القراءة يُقْبلون عليها بلهفة وشوق، فيتمرّسون بالقراءة ويستمتعون بالحكاية. وهم جميعًا يَسْعَدون بالتّمتّع بالرّسوم الملوّنة البديعة الّتي تساعد على إثارة الخيال وتكملة الجوّ القصصيّ.

وقد وُجّهت عناية قصوى إلى الأداء اللّغويّ السّليم والواضح. وطُبِعت النّصوص بأحرف كبيرة مريحة تساعد أبناءنا على القراءة الصّحيحة. وخُتِم كلّ كتاب بأسئلة تساعد على تنشيط الحِصَص التّعليميّة، وتلْفِت النّظر إلى الملامح الأساسيّة في القصّة، وتستثير التّفكير.

ثلاث قصص قصيرة

أعاد حكايتها : عبد الله أبو مدحت



مكتبة لبنان



هَبَنَّقَةُ وَالمُحْتالانِ

يُحْكى أَنَّ رَجُلًا فَقيرَ الحالِ ساذَجًا اسْمُهُ هَبَنَّقَةُ كانَ يَعيشُ وزَوْجَتَهُ مِنْ دَخْلِهِ البَسيطِ، مُكارِيًا. وكانَ حِمارُهُ وَسيلَتَهُ وَرَأْسَ مالِهِ.

وَذاتَ يَوْمٍ كانَ هَبَنَّقَةُ يَجُرُّ حِمارَهُ ساهِمًا حينَ الْتَقاهُ مُحْتالانِ كانا يَتَرَصَّدانِ فَريسَةً سَهْلَةً. فَقالَ أَحَدُهُما لِلْآخَرِ:

«أُنْظُرْ! هٰذا الحِمارُ الجَميلُ هُوَ صَيْدُنا الْيَوْمَ.»

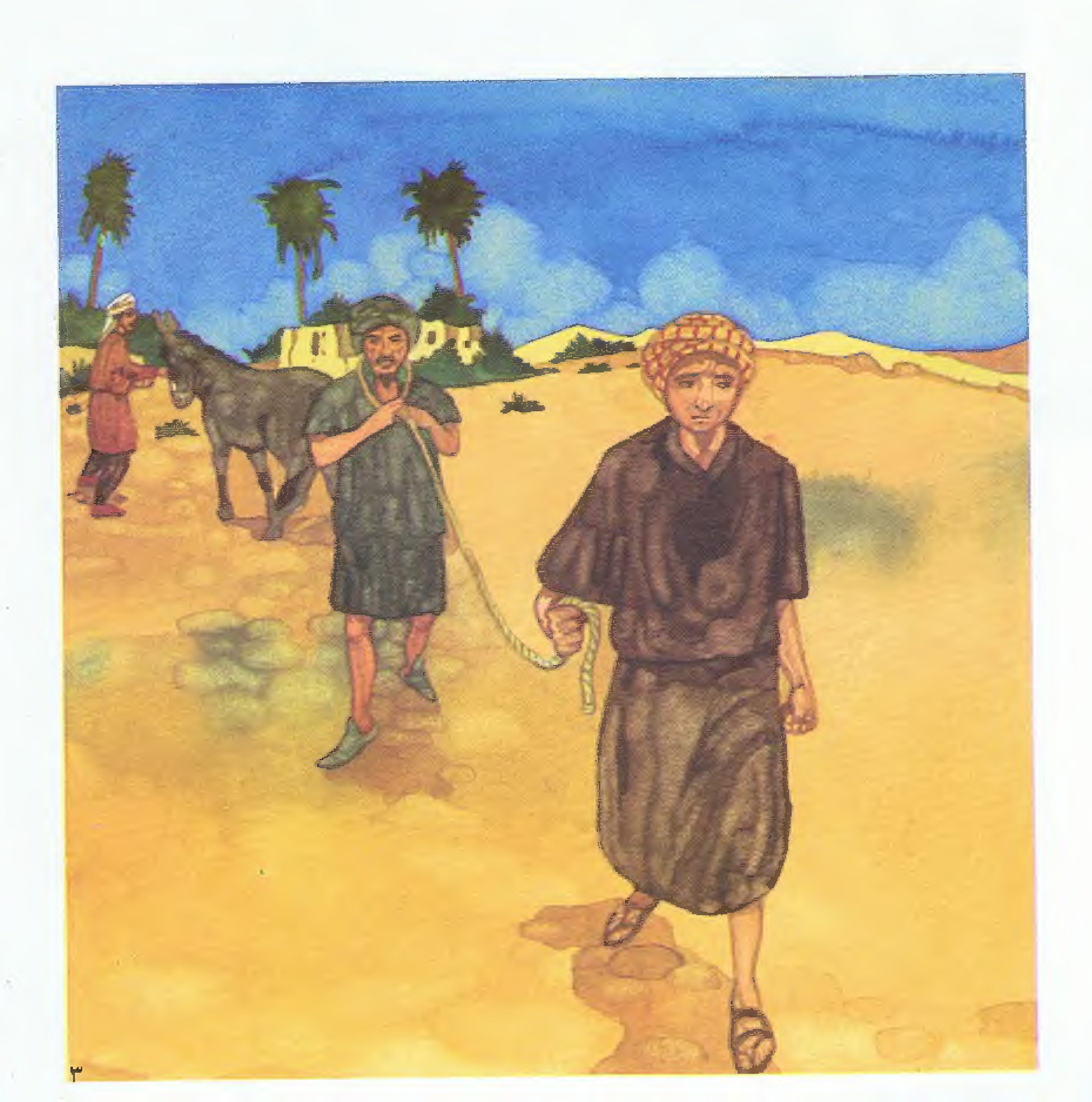
فَسَأَلَهُ الآخَرُ: «كَيْفَ، وَصاحِبُهُ مَعَهُ؟»

فَرَدَّ الأَوَّلُ بِابْتِسامَةٍ خَبيثَةٍ: «اِتْبَعْني وَسَتَرى.»

وَسارَ النَّصّابانِ خَلْفَ هَبَنَّقَةَ بِهُدوءٍ حَتّى بَلَغا مَوْقِعًا خَلا فيهِ الطَّريقُ مِنَ المارَّةِ.

فَتَقَدَّمَ المُحْتالُ الأَوَّلُ بِخِفَّةٍ وَحَذَرٍ، وَخَلَعَ الرَّسَنَ مِنْ رَأْسِ الحِمارِ وَلَفَّهُ حَوْلَ عُنُقِهِ هُوَ. وَسارَ خَلْفَ هَبَنَّقَةَ تارِكًا الحِمارَ في عُهْدَةِ رَفيقِهِ.

وَلَمْ يَنْتَبِهْ هَبَنَّقَةُ المِسْكينُ إلى شَيْءٍ مِمّا جَرى.





وَلَمّا اطْمَأَنَّ المُحْتالُ المَرْسونُ إلى أَنَّ زَميلَهُ وَالحِمارَ قَدْ تَوارَيا بَعيدًا عَنِ الأَنْظارِ ، خَبَطَ عَقِبَيْهِ بِقُوَّةٍ وَثَبَتَ في مَكانِهِ. وَشَدَّ هَبَنَّقَةُ الرَّسَنَ مُعَنِّفًا الحِمارَ الحَرونَ لِحَثِّهِ عَلى مُتابَعَتِهِ. وَلَمّا لَمْ يَنْجَحْ شَدُّهُ وَتَعْنيفُهُ ، تَلَفَّتَ خَلْفَهُ لِيَسْتَطْلِعَ الأَمْرَ.

وَجَحَظَتْ عَيْنا هَبَنَّقَةَ وَفَغَرَ فاهُ مَذْهولًا ، وَخاطَبَ المَرْسونَ قائِلًا : «بِحَقِّ السَّماءِ ، مَنْ أَنْتَ؟».

وَلَمْ يَنْبِسِ المُحْتالُ بِبِنْتِ شَفَةٍ ، بَلْ وَقَفَ هادِئًا مُتَظاهِرًا بِالْحُزْنِ وَالتَّوَسُّلِ.



ثُمَّ قالَ مُسْتَعْطِفًا: «أَيُّها السَّيِّدُ الطَّيِّبُ، أَنا هُوَ حِمارُكَ. وَلَعَلَّكَ تَجِدُ صُعوبَةً في تَصْديقِ ذٰلِكَ، لٰكِنْ لَوْ تَسْمَحُ لي بِقَليلٍ مِنْ وَقْتِكَ لَشَرَحْتُ لَكَ كَيْفَ حَدَثَ لي هٰذا الأَمْرُ العَجيبُ.

«لَقَدْ كُنْتُ فَتًى أَهْوَجَ طائِشًا يَخْجَلُ بي أَهْلي. وَذاتَ مَساءٍ انْدَفَعْتُ عَبْرَ فِناءِ بَيْتِنا مُحْتَضِنًا كيسًا مِنَ الرُّمّانِ، وَفي أَثَري جارٌ اشْتَدَّ بِهِ الغَضَبُ، وَكانَ هُوَ صاحِبَ شَجَرَةِ الرُّمّانِ.

«وَراحَ الجارُ يَشْكوني إلى والِدَيَّ بِهِياجٍ وَصَخَبٍ، فَثارَ حُنْقُ والِدي عَلَيَّ مِمّا اضْطَرَّني إلى التَّمادي في الكَذِبِ وَالإصْرارِ على أَنَّ شَخْصًا غَريبًا أَعْطاني كيسَ الرُّمّانِ!

«وَإمْعانًا في تَأْكيدِ ادِّعائي دَعَوْتُ أَنْ يَمْسَخَني اللهُ حِمارًا إنْ لَمْ أَكُنْ صادِقًا. وَهٰكَذا كانَ! فَأَصْبَحْتُ مُنْذُئِذٍ ذٰلِكَ الحِمارَ الَّذي خَدَمَكَ هٰذِهِ السِّنينَ الطِّوالَ.

«وَيَبْدو أَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وَتَعالى، بِعَظيمِ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ، ارْتَأى أَنّي قَدْ عوقِبْتُ بِما فيهِ الكِفايَةُ، فَقَرَّرَ في هٰذِهِ اللَّحْظَةِ أَنْ يُعيدَني إلى شَكْلِيَ الآدَمِيِّ.»



وَتأثَّرَ هَبَنَّقَةُ السَّاذَجُ بالِغَ التَّأثُّرِ بِهٰذِهِ القِصَّةِ المُلَفَّقَةِ. وَتَقَدَّمَ بِرَهْبَةِ المُعْتَذِرِ مِنَ المُحْتالِ المَرْسونِ ، فَحَلَّ الرَّسَنَ عَنْ رَقَبَتِهِ وَخَلّى سَبيلَهُ .

وَانْطَلَقَ هَبَنَّقَةُ مُتَباطِئًا إلى بَيْتِهِ حَزينًا ذاهِلًا ، تَجولُ في خاطِرِهِ أَحْداثُ هٰذا التَّحَوُّلِ العَجيبِ - كَيْفَ سَيَشْرَحُهُ لِزَوْجَتِهِ؟ ثُمَّ أَنّى لَهُ أَنْ يَكْسِبَ عَيْشَهُ مُكارِيًا بِلا حِمارٍ ؟

وَبَلَغَ هَبَنَّقَةُ البَيْتَ يَجُرُّ رَسَنًا بِلا حِمارٍ. فَبادَرَتْهُ زَوْجَتُهُ بِالسُّؤالِ عَمّا حَدَثَ لِلْحِمارِ، فَأَخْبَرَها القِصَّةَ كامِلَةً.

وَلَمْ تُثِرِ القِصَّةُ شُكوكًا لَدى الزَّوْجَةِ، الَّتي حاوَلَتِ التَّخْفيفَ مِنْ وَقْعِ الحادِثِ عَلى زَوْجِها. لَقَدْ طالَما سَمِعَتِ النّاسَ يُرَدِّدونَ أَنَّ الخَطَأَةَ قَدْ يُعاقَبونَ بِمَسْخِهِمْ حَيَواناتٍ تَحْمِلُ أَثْقالًا.

وَراحَتِ الزَّوْجَةُ تَتَأَسّى عَلى المَسيخِ المِسْكينِ قائِلَةً: «أَتَذْكُرُ يا هَبَنَّقَةُ كَيْفَ كُنْتَ تَرْفُسُهُ وَتَضْرِبُهُ وَتَغْفُلُ عَنْ إِطْعامِهِ؟ وَهَلْ تَذْكُرُ الأَحْمالَ الَّتي كُنْتَ تُثْقِلُ كاهِلَهُ بِها؟ حَقًّا لَقَدْ كانَتْ مُعاناةُ المِسْكينِ كافِيَةً لِلتَّكْفيرِ عَنْ خَطاياهُ. فَلْيُسامِحْنا اللهُ عَلى ذٰلِكَ!»

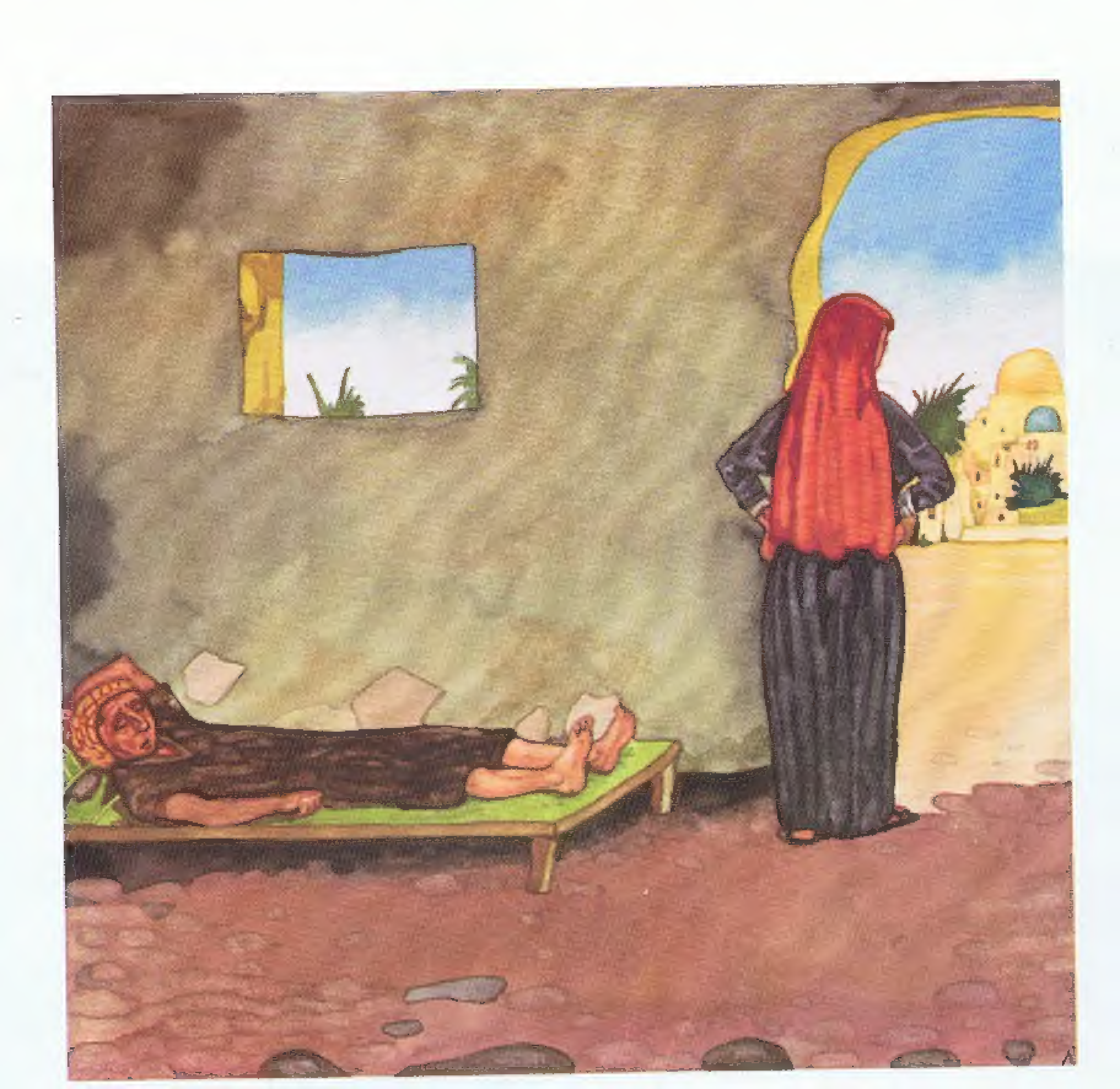
وَلَمْ تَزِدْ هٰذِهِ الذِّكْرَياتُ هَبَنَّقَةَ إِلّا بُؤْسًا عَلى بُؤْسِهِ.



وَلازَمَ هَبَنَّقَةُ الفِراشَ عِدَّةَ أَيّامٍ ، وَقَدْ شَغَلَهُ الإِعْياءُ وَالغَمُّ عَنِ التَّفْكيرِ بِالشُّغْلِ.

وَأَخيرًا عِيلَ صَبْرُ امْرَأَتِهِ ، فَقالَتْ لَهُ بِانْفِعالٍ لَمْ تَسْتَطِعْ إِخْفاءَهُ : «لُبودُكَ بِالبَيْتِ طُولَ النَّهارِ لَنْ يُوْصِلَنا لِغَيْرِ الأَسْوَإِ. قُمْ تَدَبَّرْ مَنْ يُقْرِضُكَ مالًا لِتَشْتَرِيَ حِمارًا آخَرَ تَعودُ بِهِ إِلى عَمَلِكَ وَسَعْيِكَ! لَيْسَ هُناكَ مِنْ سَبيلٍ آخَرَ!»

فَنَهَضَ المِسْكينُ سَئِمًا كَليلًا ، وَخَرَجَ يُطَوِّفُ في أَرْجاءِ المَدينَةِ.





كانَ السُّوقُ يَعِجُّ بِالْحَرَكَةِ حِينَ وَصَلَ هَبَنَّقَةُ. فَمَرَّ عَبْرَ أَزِقَّةٍ صُفَّتْ على جَوانِبِها الخَضْراواتُ وَالأَفاوِيهُ (التَّوابِلُ) وَلَفّاتُ القُماشِ وَالأَحْذِيَةُ حَتّى وَصَلَ إلى سُوقِ الدَّوابِّ.

وَكانَتْ سُوقُ الدَّوابِّ تَضُمُّ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الحَمِيرِ مِنْ مُخْتَلِفِ الأَشْكالِ وَالحُجومِ وَالأَعْمارِ. فَراحَ هَبَنَّقَةُ يَتَفَرَّسُها بِعِنايَةٍ لِانْتِقاءِ واحِدٍ مِنْها لا تَزالُ فيهِ بَقِيَّةُ قُدْرَةٍ عَلى العَمَلِ، وَيَكونُ سِعْرُهُ في حُدودِ إِمْكاناتِهِ.

وَما كادَ هَبَنَّقَةُ يَسْتَقِرُّ عَلى شِراءِ حِمارٍ مُعَيَّنٍ حَتّى انْدَفَعَ رَجُلٌ دُونَهُ صارِخًا: «هٰذا حِماري! إِنَّهُ هُوَ بِعَيْنِهِ! أَيْنَ هُوَ اللِّصُّ الَّذي يُحاوِلُ بَيْعَ حِماري؟ فَلَأَدُقَّنَّ عُنُقَهُ!».

وَانْسَحَبَ هَبَنَّقَةُ بِهُدوءٍ بَعيدًا عَنْ هٰذا الشَّغَبِ وَما قَدْ يَؤولُ إِلَيْهِ.



وَفَجْأَةً وَقَعَتْ عَيْناهُ عَلى حِمارٍ ، كَأَنَّهُ حِمارُهُ ، بَيْنَ مَجْموعَةٍ أُخْرى مِنَ الحَميرِ . وَلَمْ يُصَدِّقْ هَبَنَّقَةُ عَيْنَيْهِ لِدَهْشَتِهِ ! فَصارَ يَدورُ حَوْلَ الحِمارِ وَيَتَفَحَّصُهُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ.

إِنَّهُ هُوَ بِلا رَيْبٍ ! هٰذِهِ غُرَّتُهُ البَيْضاءُ نازِلَةً حَتّى أَنْفِهِ ، وَهٰذِهِ رُقْطَتُهُ المُعَيَّنَةُ السَّوْداءُ عَلى صَدْرِهِ. وَهٰذِهِ دَبَرَةُ ظَهْرِهِ الجَرْداءُ مَكانَ البَرْدَعَةِ الخَشِنَةِ. وَهٰذِهِ أُذُنُهُ القَرْطاءُ ، وَهٰذِهِ عَيْنُهُ العَوْراءُ - إِنَّهُ هُوَ بِعَيْنِهِ ، لا مِراءَ في ذٰلِكَ !

فَتَراجَعَ هَبَنَّقَةُ قَليلًا ، وَراحَ يَحُكُّ رَأْسَهُ حائِرًا فيما يَجِبُ عَمَلُهُ.

وأَخيرًا تَقَدَّمَ مِنَ الحِمارِ ، مُحاذِرًا أَلّا يَراهُ أَحَدٌ ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلى عُرْفِهِ وَمالَ يَهْمِسُ في أُذُنِهِ : «إذَنْ لَقَدْ عُدْتَ إلى أَحابِيلِكَ ثانِيَةً ، تَسْرِقُ وَتَكْذِبُ ، يا مَلْعونُ ! كَأَنَّكَ لَمْ تَتَعَلَّمْ دَرْسًا وَلا عِبْرَةً مِمّا جَرى لَكَ سالِفًا . عَلى كُلٍّ ، لَقَدْ نِلْتَ الآنَ ما تَسْتَحِقُّهُ !

«أَنا بِدَوْري لَنْ أُعيدَ الغَلْطَةَ وَأَشْتَرِيكَ ثانِيَةً ، فَلْتَكُنْ جَوْلَتُكَ هٰذِهِ المَرَّةَ مَعَ سِوايَ !»





الحِمارُ وَالثَّوْرُ وَالفَلّاحُ

في مَزْرَعَةٍ كَبيرَةٍ تَخُصُّ أَحَدَ الفَلّاحينَ المُوْسِرينَ وَزَوْجَتَهُ، كانَ يَعيشُ حِمارٌ وَثَوْرٌ وَحَيَواناتٌ كَثيرَةٌ أُخْرى.

وَكانَ الثَّوْرُ يُساقُ إِلى الحُقولِ كُلَّ يَوْمٍ فَيُشَدُّ إِلى نيرِ مِحْراثٍ ثَقيلٍ يَجُرُّهُ طَوالَ يَوْمِهِ. بَيْنَما الحِمارُ يَجولُ في المَزْرَعَةِ يَرْعى وَيَمْرَحُ، أَوْ يَتَمَطّى وَيَتَمَرَّغُ في إِسْطَبْلِهِ عَلى فِراشٍ مِنَ القَشِّ النَّظيفِ.

وَذاتَ يَوْمٍ بَيْنَما كانَ الفَلّاحُ يَتَفَقَّدُ شُؤُونَ مَزْرَعَتِهِ اسْتَثارَ اهْتِمامَهُ وَاسْتِغْرابَهُ حَديثٌ كانَ يَجْري بَيْنَ الثَّوْرِ، العائِدِ مِنْ عَمَلِ يَوْمِهِ المُرْهِقِ، وَالحِمارِ. وَكانَ الفَلّاحُ ذا مَوْهِبَةٍ تُمَكِّنُهُ مِنْ فَهْمِ لُغَةِ الحَيَواناتِ.

قالَ الثَّوْرُ: «حَقًّا إِنَّكَ لَمَحْظوظٌ أَيُّها الحِمارُ. أَنا أَشْقَى طُولَ نَهاري أَجُرُّ ذاكَ المِحْراثَ المَشْؤومَ - في العُفارِ صَيْفًا وَفي الأَوْحالِ شِتاءً، وَأَنْتَ تَقْضي نَهارَكَ في المَزْرَعَةِ مُتْرَفًا مُتَكاسِلًا يُغالِبُكَ النُّعاسُ. هٰذا مِنْ ظُلْمِ الحَياةِ!»



وَرَقَّ الحِمارُ لِحالِ رَفيقِهِ الثَّوْرِ. فَقَرَّرَ مُساعَدَتَهُ بِنَصيحَةٍ تُخَفِّفُ مُعاناتَهُ – غَيْرَ دارٍ بِأَنَّ صاحِبَ المَزْرَعَةِ كانَ يَتَسَمَّعُ إِلَيْهِما.

قالَ الحِمارُ: «جَرِّبْ هٰذِهِ الوَصْفَةَ. اِبْدَأْ بِالاِمْتِناعِ عَنِ الطَّعامِ وَتَظاهَرْ بِالمَرَضِ. وَحينَ تُشَدُّ إلى المِحْراثِ في الحَقْلِ غَدًا اسْقُطْ أَرْضًا، وَأَبْدِ عَجْزَكَ عَنِ القِيامِ. وَإِنْ رَفَعوكَ على أَرْجُلِكَ فَارْقُدْ ثانِيَةً. وَحينَ يُعيدونَكَ إلى المَزْرَعَةِ تابِعْ صُدودَكَ عَنِ الأَكْلِ حَتّى لَوْ وَضَعوا في مِذْوَدِكَ أَفْضَلَ الشَّعيرِ. داوِمْ عَلى هٰذِهِ الحالِ بِضْعَةَ أَيّامٍ، وَسُرْعانَ ما سَتَنْعَمُ بِمُتْعَةِ العَيْشِ الهَنيءِ».





وَقَرَّرَ الثَّوْرُ تَطْبيقَ الخُطَّةِ في مَساءِ الْيَوْمِ نَفْسِهِ. فَأَحْجَمَ حَتّى عَنِ النَّظَرِ إلى طَعامِهِ، وَانْزَوى في مُؤَخَّرَةِ إسْطَبْلِهِ.

وَفي صَباحِ الْيَوْمِ التّالي جاءَ الحَرّاثُ لِيَأْخُذَ الثَّوْرَ إلى الحَقْلِ فَرَآهُ في حالٍ سَيِّئَةٍ. وَحينَ اكْتَشَفَ أَنَّ الثَّوْرَ لَمْ يَتَناوَلْ مِنْ طَعامِهِ شَيْئًا ازْدادَ قَلَقُهُ. فَسارَعَ إلى صاحِبِ المَزْرَعَةِ يُنَبِّئُهُ بِواقِعِ الحالِ.



وبَعْدَ أَنِ انْتَهى الحَرّاثُ مِنْ قَوْلِ ما لَدَيْهِ ، هَزَّ الفَلّاحُ السَّيِّدُ رَأْسَهُ وَأَوْعَزَ قائِلاً . «الحَلُّ الوَحيدُ هُوَ أَنْ تُريحَ الثَّوْرَ وَتَأْخُذَ الحِمارَ لِيَجُرَّ المِحْراثَ بَدَلًا مِنْهُ . إِنَّهُ أَصْغَرُ حَجْمًا بِالطَّبْعِ ، وَلكِنَّ الوَقْتَ ضَيِّقٌ وَلا يُمْكِنُنا الاِنْتِظارُ . أَجْهِدِ الحِمارَ بِالحَرْثِ وَسُقْهُ بِالشِّدَّةِ الَّتي تَسْتَطيعُها ! »

وَاسْتَغْرَبَ الحَرّاثُ عَدَمَ قَلَقِ الفَلّاحِ عَلى الثَّوْرِ ، وَزادَ اسْتِغْرابَهُ تَعْليماتُ السَّيِّدِ بِتَسْخيرِ الحِمارِ لِلْحَرْثِ . وَلٰكِنَّهُ فَعَلَ كَما أُمِرَ .

وَهٰكَذا قَضَى الحِمارُ يَوْمًا مُعَنّتًا في جَرِّ المِحْراثِ الثَّقيلِ ذَهابًا وَإيابًا تَحْتَ وَهَجِ الشَّمْسِ اللّافِحِ. وَكانَ كُلَّما أَنْهَكَهُ التَّعَبُ وَتَباطَأَتْ خُطُواتُهُ يُلْهِبُ الحَرّاثُ كَفَلَهُ بِعَصاهُ الضَّخْمَةِ.

وَأَخيرًا بَلَغَ مِنْهُ الإرْهاقُ حَدًّا لَمْ يَعُدْ يُحِسُّ مَعَهُ بِالأَلَمِ. وَمالَتِ الشَّمْسُ نَحْوَ الأُفُقِ وَبَدَأَتْ تَهُبُّ نَسَماتُ الغُروبِ البارِدَةُ.

وَحينَ عادَ الحَرّاثُ بِالحِمارِ إلى المَزْرَعَةِ كانَ الظَّلامُ قَدْ بَدَأَ يُرْخي سُدولَهُ.



وَاسْتَقْبَلَ الثَّوْرُ ، بِانْشِراحٍ ظاهِرٍ ، زَميلَهُ الحِمارَ حينَ رَآهُ يَعودُ مُتَعَثِّرًا إلى الإسْطَبْلِ. قالَ الثَّوْرُ : «لَقَدْ كانَ يَوْمي رائِعًا وَمُمْتِعًا. نَعَمْ أَشْعُرُ بِبَعْضِ الجُوعِ وَالخَوَرِ ، لٰكِنَّها أَيّامٌ مَعْدوداتٌ وَيَصْطَلِحُ كُلُّ شَيْءٍ. ثُمَّ إنَّ الْوَاحِدَ مِنّا لا يَحْتاجُ فِعْلًا إلى الكَثيرِ مِنَ الطَّعامِ حينَما يُمْضي وَقْتَهُ مُرْتاحًا بِلا إجْهادٍ وَلا عَناءٍ. لٰكِنْ قُلْ لِي ، كَيْفَ كانَ يَوْمُكَ أَنْتَ؟»

وَلَمْ يُجِبِ الحِمارُ بِشَيْءٍ ، بَلِ انْسَحَبَ مُتَجَهِّمًا إلى مُؤَخَّرَةِ الإسْطَبْلِ وَارْتَمى في إحْدى زَواياهُ. وَقالَ في نَفْسِهِ وَهُوَ يُغالِبُ نُعاسَ الإرْهاقِ : «يا لِي مِنْ مُغَفَّلٍ. أَحْرَى بِي مُسْتَقْبَلًا أَنْ أَحْتَفِظَ بِحِكْمَتي لِنَفْسي.»





وَفي اليَوْمِ التّالي وَصَلَ الحرّاثُ مَعَ بُزوغِ الفَجْرِ كالعادَةِ. وَحِينَ رأى الثَّوْرَ على حالِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يَمَسَّ طَعامَهُ أَبْلَغَ الأَمْرَ إلى السَّيِّدِ. ثُمَّ اقْتادَ الحِمارَ إلى نِيْرِ المِحْراثِ كَما في اليَوْمِ السّابِقِ.

وَفي أَثْناءِ مِحْنَتِهِ ذَهابًا وَإيابًا مَعَ أَتْلامِ المِحْراثِ كانَتْ تَتَرَدَّدُ في خاطِرِ الحِمارِ فِكْرَةٌ واحِدَةٌ: «يَجِبُ أَنْ أَفعَلَ شَيْئًا. يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا!»

وَأَخيرًا عادَ مَعَ المَساءِ إلى المَزْرَعَةِ، مُنْهَكًا جائِعًا مُلَطَّخًا بِالوَحْلِ وَالكَدَماتِ – لٰكِنْ كانَتْ لَدَيْهِ خُطَّةٌ لَمْ يَشُكَّ في نَجاحِها!

فَغَرَ الثَّوْرُ فاهُ بِثُؤَباءِ الرِّضى حِيْنَ رَأى زَميلَهُ الحِمارَ يَعودُ، فَبادَرَهُ قائِلًا: «ما أَسْرَعَ ما انْقَضى هٰذا اليَوْمُ! لَقَدْ كانَ يَوْمًا رائِعًا آخَرَ. قُلْ لي، كَيْفَ كانَ يَوْمُكَ أَنْتَ!»

فَرَدَّ الحِمارُ بِاقْتِضابٍ: «يَوْمي كانَ جَيِّدًا.» ثُمَّ أَرْدَفَ بِجِدِّيَّةٍ ظاهِرَةٍ: «هُنالِكَ أَمْرٌ لا بُدَّ لِي مِنْ إِطْلاعِكَ عَلَيْهِ – فَالصَّديقُ المُخْلِصُ يُهِمُّهُ أَمْرُ صَديقِهِ، كَما تَعْلَمُ. لَقَدْ سَمِعْتُ السَّيِّدَ لِلتَّوِّ يُحادِثُ الحَرّاثَ بِخُصوصِ مَرَضِكَ، وَأَنَّهُ لا داعِيَ لِلاحْتِفاظِ بِكَ إِنْ كُنْتَ سَتَبْقى مَريضًا لا تَقْوى عَلى العَمَلِ. فَغَدًا إِنْ لَمْ تَكُنْ قَدْ شُفيتَ سَيَتَّصِلُ بِالجَزّارِ لِيُريحَكَ مِنِ اعْتِلالِكَ!»

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ سَمِعَ الزَّميلانِ جَلَبَةَ إِفْراغِ سَطْلَيْ عَلَفِهِما في المِذْوَدِ خَلْفَهُما. وَحِيْنَ مالا بِرَأْسَيْهِما نَحْوَ الصَّوْتِ رَأَيا السَّيِّدَ الفَلّاحَ بِالبابِ يَبْتَسِمُ قائِلًا:

«فَلْيَنْعَمْ كِلاكُما بِعَشائِهِ! تُصْبِحانِ عَلى خَيْرٍ.»





وَفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي كانَ الفَلاّحُ وَزَوْجَتُهُ يُرافِقانِ الحَرّاثَ إلى الإسْطَبْلِ لِيأْخُذَ الثَّوْرَ لِلْحَرْثِ.

وَبَدا الثَّوْرُ في غايَةِ اللِّياقَةِ البَدَنِيَّةِ - يُقَبِّضُ عَضَلاتِهِ وَيَضْرِبُ بِذَنَبِهِ، وَهُوَ يَتَطَفَّرُ بِالنَّشاطِ وَالرَّشاقَةِ الَّتي سَمَحَتْ بِها أَرْجُلُهُ الضَّخْمَةُ. وَكانَ مَعْلَفُهُ نَظيفًا لَمْ تَبْقَ فيهِ وَلا قَشَّةُ تِبْنٍ!

وَأَغْرَبَ الفَلاّحُ وَزَوْجَتُهُ في الضَّحِكِ بَيْنَما كانَ الثَّوْرُ يُهَرْوِلُ خَلْفَ الحَرّاثِ مُتَعَجِّلاً العَوْدَةَ إلى العَمَلِ - وَقَدْ وَرَّدَتْ خَدَّيْهِ الأَبْيَضَيْنِ حُمْرَةُ خَجَلٍ خَفيفَةٌ.



الحُلْمُ

يُحْكَى أَنَّهُ في سالِفِ الأَيّامِ كانَ يَعيشُ في مَدينَةِ السَّلامِ ، بَغدادَ ، تاجِرٌ واسِعُ الثَّراءِ اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ .

وَكانَ التّاجِرُ يَمْلِكُ كُلَّ ما يَحْلُمُ المُوسِرونَ بِامْتِلاكِهِ - بَيْتًا جَميلاً تُزَيِّنُ حَديقَتَهُ الغَنّاءَ فَساقِيُّ الرُّخامِ بِنَوافيرِها المُتَدَفِّقَةِ ، وَطَنافِسَ وَسَجّاداتٍ رائِعَةً ، وَأَطْباقًا مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَخَدَمًا وَحَشَمًا يَسْهَرونَ عَلى راحَتِهِ . فَلَمْ يَكُنْ يَنْقُصُهُ شَيْءٌ .

لكِنْ كَما يَجيءُ الثَّراءُ سَريعًا أَحْيانًا، فَإِنَّهُ كَذٰلِكَ يَزولُ أَحْيانًا بِالسُّرْعَةِ ذاتِها. وَهٰكَذا حَدَثَ حِيْنَ اكْتَشَفَ التّاجِرُ يَوْمًا أَنَّهُ يُنْفِقُ دِينارَهُ الأَخيرَ وَأَنَّ العَديدَ مِنَ الدُّيونِ المُسْتَحِقَّةِ عَلَيْهِ لَمْ يُسَدَّدْ.

وَنَتيجَةً لِإفْلاسِهِ الطّارِئِ اضْطُرَّ التّاجِرُ إِلى بَيْعِ مُمْتَلَكاتِهِ كُلِّها بِاسْتِثْناءِ جُزْءٍ صَغيرٍ ظَلَّ يَسْكُنُهُ مِنْ بَيْتِهِ القَديمِ. وَصارَ المِسْكينُ يَسْرَحُ بَحْثًا عَنْ عَمَلٍ يَرْتَزِقُ مِنْهُ كَأَيِّ أَجيرٍ عادِيٍّ آخَرَ مَرَّةً في تَكْسيرِ الحِجارَةِ وَرَصْفِ الطُّرُقِ، وَأُخْرى كَعَتّالٍ يَنْقُلُ أَكْياسَ الحَبِّ لِلتُّجّارِ في السّوقِ.





وَذاتَ لَيْلَةٍ عَجزَ عَبْدُ اللهِ لِشِدَّةِ إرْهاقِهِ عَنِ العَوْدَةِ عبْرَ المَدينَةِ إلى بَيْتِهِ ، فَنامَ عَلى مَرْجَةٍ مُعْشِبَةٍ خارِجَ السُّوقِ. وَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَأى حُلْمًا غَريبًا.

في ذٰلِكَ الحُلْمِ رَأى رَجُلًا يُخاطِبُهُ بِجِدِّيَّةٍ قائِلًا : «هُنالِكَ ثَرْوَةٌ طائِلَةٌ تَنْتَظِرُكَ في القاهِرَةِ. اِذْهَبْ إلى تِلْكَ المَدينَةِ عَلى التَّوِّ ، وَخُذْ ما قُسِمَ لَكَ.»

وَاسْتَفاقَ الرَّجُلُ يَسْتَحِثُّهُ شُعورٌ خَفِيٌّ عَلى تَصْديقِ الحُلْمِ . وَلٰكِنْ أَيْنَ هُوَ مِنَ القاهِرَةِ الَّتي تَبْعُدُ عَنْ بَغْدادَ قُرابَةَ أَلْفِ مِيلٍ ، وَلا رَكوبَةَ لَدَيْهِ وَلا مالٌ !

وَقَرَّ قَرارُهُ عَلى السَّفَرِ سَيْرًا عَلى الأَقْدامِ عَبْرَ البَوادِي وَالواحاتِ . وَكَلَّفَهُ ذٰلِكَ شَقاءً اسْتَغْرَقَ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ كانَ المِسْكينُ يُعَزِّي نَفْسَهُ خِلالَها بِأَنَّ شَقاءَهُ هٰذا لَيْسَ أَسْوَأَ مِنْ شَقائِهِ ذاكَ – أَيّامَ تَكْسيرِ الحِجارَةِ في بَغْدادَ .





وَأَخيرًا وَصَلَ عَبْدُ اللهِ إلى القاهِرَةِ. وَكانَ الوَقْتُ مَساءً وَمُتَأَخِّرًا، فَلَمْ يَسْتَطِعْ تَدْبيرَ مَكانٍ مُناسِبٍ يَنامُ فيهِ. وَوَجَدَ نَفْسَهُ أَمامَ دارِ المَحْكَمَةِ فَانْزَوى في جانِبٍ مِنْ حَدائِقِها وَاسْتَسْلَمَ لِنَوْمٍ عَميقٍ.

وَصادَفَ أَنَّ عِصابَةً مِنَ اللُّصوصِ اخْتاروا اسْتِخْدامَ تِلْكَ الحَدائِقِ في اللَّيْلَةِ ذاتِها طَريقًا لِلْوُصولِ إلى مَنْزِلٍ مُجاوِرٍ وَالسَّطْوِ عَلَيْهِ. وَفي أَثْناءِ مُحاوَلَةِ العِصابَةِ خَلْعَ دَرْفَةِ النّافِذَةِ أَفاقَ أَهْلُ المَنْزِلِ عَلى الضَّجَّةِ وَصَرَخوا مُسْتَغيثينَ وَمُنْذِرينَ.

وَسُرْعانَ ما وَصَلَ ضابِطُ الشُّرْطَةِ وَرِجالُهُ إلى المَكانِ. لٰكِنَّ اللُّصوصَ كانُوا قَدْ فَرُّوا!

وَوَقَعَتِ الشُّبْهَةُ عَلى عَبْدِ اللهِ كَواحِدٍ مِنْ أَفْرادِ العِصابَةِ. وَكانَ المِسْكينُ جالِسًا يَفْرُكُ عَيْنَيْهِ مَشْدوهًا ثُمَّ يَتَطَلَّعُ حَوالَيْهِ مُسْتَغْرِبًا وَمُتَسائِلًا عَمّا يَجْري حَوْلَهُ.

وَأَمَرَ الضّابِطُ رِجالَهُ بِاعْتِقالِ المَشْبوهِ. فَتَقَدَّمَ نَحْوَهُ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَضْخَمِهِمْ حَجْمًا، فَبَسَطوهُ أَرْضًا – وَوَجْهُهُ إلى أَسْفَلَ – ثُمَّ حَمَلوهُ مُمْسِكًا كُلٌّ مِنْهُمْ بِطَرَفٍ مِنْهُ. وَساروا بِهِ إلى السِّجْنِ.



وَظَلَّ عَبْدُ اللهِ في غَياهِبِ السِّجْنِ وَنَتَنِهِ ثَلاثَةَ أَيّامٍ مُنْهَكًا مُرَضْرَضًا لا يَدْري ما الّذي ارْتَكَبَهُ حَتّى يَسْتَحِقَّ هٰذِهِ المُعامَلَةَ.

وَانْسَلَّتْ أَشِعَّةُ نُورٍ رَطْبٍ إلى حُجْرَتِهِ عَبْرَ نافِذَةٍ مُصَبَّعَةٍ بِقُضْبانِ الحَديدِ. وَبَلَغَتْ مَسامِعَهُ جَبَبَةُ القَوْمِ وَضَجيجُ المارَّةِ خارِجَ السِّجْنِ.

وَراحَ في كُرْبَتِهِ يَهْجِسُ مُؤَنِّبًا نَفْسَهُ: «ما كانَ أَحْمَقَني أَنْ أُصَدِّقَ الحُلْمَ! هَلْ هٰذِهِ هي الثَّرْوَةُ الطّائِلَةُ الّتي شَقيتُ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ أَقْطَعُ الفَيافِيَ وَالقِفارَ لِأَجْلِها؟ لَعَلّي سَأَقْضي أَجَلًا هُنا دُونَ أَنْ يَكْتَرِثَ لِأَمْري أَحَدٌ!»

وَكادَ هاجِسُ اليَأْسِ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ حِينَ جاءَهُ مَنْ يَسْتَدْعيهِ إلى حَضْرَةِ ضابِطِ الشُّرْطَةِ.





أَخَذَ الضّابِطُ يَسْتَجْوِبُ الرَّجُلَ عَنِ اسْمِهِ وَعُنْوانِهِ وَسَبَبِ وُجودِهِ في مَوْقِعِ السَّطْوِ.

فَقالَ الرَّجُلُ: «إِسْمي عَبْدُ اللهِ وَأَنا مِنْ بَغْدادَ» فَقاطَعَهُ الضّابِطُ قائِلًا: «يَعْني، أَتَيْتَ مِنْ بِلادٍ بَعيدَةٍ لِتَسْطُوَ عَلى أَهْلِنا؟ إِنَّ مَحاكِمَنا لا تَأْخُذُ مِثْلَ هذا التَّصَرُّفِ بِاللّينِ مُطْلَقًا! هاتِ ما لَدَيْكَ تُدافِعُ بِهِ عَنْ نَفْسِكَ.»

فَراحَ عَبْدُ اللهِ يَرْوي لِلضّابِطِ قِصَّتَهُ الغَريبَةَ. وَشَعَرَ الضّابِطُ بِفِراسَتِهِ أَنَّ الرَّجُلَ صادِقٌ. قَدْ يَكونُ ساذَجًا أَوْ أَحْمَقَ، لكِنَّهُ لَيْسَ لِصًّا.

وَابْتَسَمَ الضّابِطُ قائِلًا: «إِذَنْ جِئْتَ مِنْ بَغْدادَ تَبْحَثُ عَنْ ثَرْوَتِكَ هُنا اسْتِجابَةً لِحُلْمٍ – ثُمَّ ماذا؟»

فَرَدَّ عَبْدُ اللهِ «ثُمَّ ظَهَرَ أَنَّ ما قُسِمَ لي هُوَ أَنْ يَجْثِمَ فَوْقي أَرْبَعَةٌ مِنْ رِجالِكَ وَأَنْ أَقْضِيَ ثَلاثَةَ أَيّامٍ كارِيَةٍ في سِجْنِكَ.»

وَضَحِكَ الضّابِطُ حَتّى اغْرَوْرَقَتْ عَيْناهُ بِالدُّموعِ ، وَقالَ لِلرَّجُلِ : «أَيُّها الأَحْمَقُ المِسْكينُ ، تُذَكِّرُني بِحُلْمٍ عاوَدَني ثَلاثَ لَيالٍ مُتَتالِيَةٍ . كانَ يَظْهَرُ لي فيهِ رَجُلٌ يَقولُ : «هُنالِكَ بَيْتٌ في بَغْدادَ في مِنْطَقَةِ الرَّصافَةِ . فِناؤُهُ مِنَ الرُّخامِ الأَبْيَضِ وَالأَشْهَبِ وَفي نِهايَتِهِ نافورَةٌ يَنْبَثِقُ مِنْها الماءُ مُتَقاطِعًا هٰكَذا ... - وَراحَ الضّابِطُ يُمَثِّلُ بِذِراعَيْهِ كَيْفِيَّةَ تَدَفُّقِ الماءِ مِنَ النافورَةِ ... - ثُمَّ أَكْمَلَ : «وَفي كُلِّ مَرَّةٍ كانَ الرَّجُلُ يُحَدِّدُ لي مَوْقِعَ كَنْزٍ مَطْمورٍ تَحْتَ تِلْكَ النافورَةِ ، وَيَحُثُّني عَلى الذَّهابِ إِلى بَغْدادَ لِلْحُصولِ عَلَيْهِ . فَهَلْ تُراني اسْتَجَبْتُ إِلَيْهِ ؟»

وَمالَ الضّابِطُ عَلى مَكْتَبِهِ ، وَتابَعَ يُجيبُ «طَبْعًا لا . لَقَدْ بَقيتُ هُنا في القاهِرَةِ لِأَنَّني لَسْتُ ساذَجًا . وَالآنَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَمْضِيَ في سَبيلِكَ .»





وَشَيَّعَ الضّابِطُ الرَّجُلَ إلى البابِ مُوَدِّعًا ، ثُمَّ ناوَلَهُ كيسًا مِنَ الدَّراهِمِ وَقالَ مُلاطِفًا : «اِسْتَخْدِمْ هٰذا المالَ بِحِكْمَةٍ لِتَعودَ إلى بَغْدادَ .. وانْتَبِهْ لا أَحْلامَ مُجَدَّدًا بَعْدَ اليَوْمِ ! »

وَانْطَلَقَ عَبْدُ اللهِ في سَبيلِهِ ، وَهُوَ يَسْمَعُ صَدى ضَحِكاتِ الضّابِطِ تَمْلأُ القاعَةَ بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَ البابَ خَلْفَهُ .

وَكانَ حَماسُ عَبْدِ اللهِ في طَريقِ العَوْدَةِ أَشَدَّ مِمّا قَدْ يَتَوَقَّعُ ضابِطُ الشُّرْطَةِ . لَقَدْ كانَ حُلْمُ الضّابِطِ أَغْرَبَ مِنْ حُلْمِهِ هُوَ - لِأَنَّ أَوْصافَ المَنْزِلِ وَنافورَةِ الكَنْزِ كَما رَواها لَهُ الضّابِطُ تَنْطَبِقُ بِالتَّمامِ وَالكَمالِ عَلى بَيْتِهِ هُوَ في بَغْدادَ !

وَبَعْدَ رِحْلَةٍ شاقَّةٍ طَويلَةٍ عَبْرَ الصَّحْراءِ عادَ عَبْدُ اللهِ إلى مَوْطِنِهِ في بَغْدادَ. فَقَصَدَ عَلى التَّوِّ إلى مَنْزِلِهِ في حَيِّ الرَّصافَةِ، وَنَفَذَ إلى مَوْقِعِ النّافورَةِ في فِناءِ البَيْتِ، وَراحَ يَحْفِرُ.

وَهُناكَ، تَمامًا كَما وَصَفَ ضابِطُ الشُّرْطَةِ، كانَ الكَنْزُ المَوعودُ!

لَقَدْ صَحَّ الحُلْمُ أَخيرًا، وَشاءَ اللهُ بِواسِعِ رَحْمَتِهِ أَنْ يُعيدَ الثَّرْوَةَ وَالكَرامَةَ إلى عَبْدِ اللهِ بَعْدَ أَنْ حاقَ بِهِ الكَثيرُ مِنَ الكَرْبِ وَالشَّقاءِ.



هبنَّقة والمحتالان

- من هو هبنَّقة، وماذا قرّر المحتالان أن يفعلا به؟ (ص ٢ - ٣)
- ما القصّة التي رواها المحتال لهبنَّقة؟ (ص ٤ - ٥)
- هل صدّق هبنَّقة رواية المحتال، وما كان موقف زوجته؟ (ص ٦ - ٧)
- ماذا طلبت زوجة هبنَّقة منه؟ (ص ٨ - ٩)
- ما كان موقف هبنَّقة حين رأى حماره في السوق؟ (ص ١٠ - ١١)
- إشرح، باختصار، رأيك بشخصيّات القصّة.

الحمار والثَّور والفلّاح

- لماذا كان الثَّور يشعر بالظلم؟ (ص ١٢ - ١٣)
- ما الفكرة التي عرضها الحمار على زميله الثَّور؟ (ص ١٤ - ١٥)
- ما كان موقف الفلّاح؟ (ص ١٦ - ١٧)
- هل أرضَت فكرة الحمار الطَّرفين، لماذا؟ (ص ١٨ - ١٩)
- ما الحيلة التي لجأ إليها الحمار ليُصلِحَ خطأه؟ (ص ٢٠ - ٢١)
- هل تعتقد أنّ الثَّور كان مظلومًا فعلًا؟ إشرح رأيك.

الحُلْم

- كيف تبدّلت حال عبدالله من الثراء إلى الفقر؟ (ص ٢٢ - ٢٣)
- ماذا رأى عبدالله في حلمه؟ (ص ٢٤ - ٢٥)
- ما المصيبة التي وقع فيها عبدالله؟ (ص ٢٦ - ٢٧)
- ما كان رأي الضابط بعبدالله؟ (ص ٢٨ - ٢٩)
- لماذا تحمّس عبدالله للقصّة التي رواها له الضابط؟ (ص ٣٠ - ٣١)
- هل وجد عبدالله كنزه الموعود، كيف؟ (ص ٣٢)

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل.
ص.ب: ٩٢٣٢-١١
بيروت، لبنان



كتب الفراشة

حكايات محبوبة ـ ٥. ثلاث قصص قصيرة

هبنّقة والمحتالان، قصّة مكاريّ بسيط، قرّر محتالان الاستيلاء على حماره فقاما بحيلة ذكيّة صدّقها المكاريّ.

الحمار والثور والفلّاح، قصّة ثور تَعِب من الحراثة فأراد زميله الحمار مساعدته، لكنّ الفلّاح الذي سمع حديثهما، كان له موقفه الخاصّ.

أمّا **الحلم** فقصّة تاجر، اسمه عبدالله، رأى في حلمه رجلًا يحدّثه عن ثروة طائلة تنتظره في القاهرة، فقرّر السعي وراء حلمه.

ثلاث قصص قصيرة، في الأولى نماذج من الذكاء الذي يستخدمه صاحبه على غير وجه حقّ، في الثانية أمثولة عن العمل، وفي الثالثة دعوة لتلبية نداء القَدَر.



ISBN 9953-1-0034-9
9 789953 100340

مكتبة لبنان ناشرون